

خطة الدرس: فيلم "جنينة الأسماك" ومقالة جون بورنمن

التخسين : 20 دقيقة:

*المناقشة في مجموعات من ثلاثة: ما أراغا في الفيلم وما هي القضايا الاجتماعية الملحة التي طرحت فيه ولها علاقة بإندلاع الثورة المصرية؟

*تذكير الطلاب بالصلة بين هذه القضايا وما قرأناه في الدروس الماضية من الكتيب "حق وواجب المصري" ونصوص أخرى عبرت عن متطلبات الثوار -المناقشة في مجموعات من ثلاثة (10 دقائق)

-المناقشة كصف (10 دقائق): مراجعة بعض الأفكار من عند الطلاب

* نقطتان عن السياق الثقافي التاريخي للفيلم أريد أن أناقشها مع الطلاب - كفاية (الحركة المصرية من أجل التغيير) - الإسقاط / الإجهاض

العمل على تلخص المقالة: 20 دقيقة

*في مجموعات من اثنين أو ثلاثة سنعمل على تلخيص هذه المقالة لفهم الأفكار الرئيسية ولنسلط الضوء على المفاهيم المحورية فيها *الهدف لكل مجموعة: تحديد ثلاثة أفكار وثلاثة مفاهيم مهمة في النص وشرحها

*استخراج بعض الأمثلة من الطلاب قبل تقسيمهم إلى مجموعات

العمل على المفاهيم الأساسية: 35 دقيقة

- ما هي الأفكار والمفاهيم المحورية في هذا النص؟

*الطلاب يقومون ويكتبون الأفكار على نصف اللوح ويكتبون المفاهيم على النصف الآخر ثم يجلسون ويشرحون للصف ما كتبوه

الجدور الأوديبية للثورة في العالم العربي

جون بورنمان

تستضيف "قضايا النهار" اليوم البروفسور جون بورنمان أستاذ الأنثروبولوجيا المعروف في جامعة برنستون، ومؤلف:

- Death of the Father: An Anthropology of the End of Political Authority (2004)

- Political Crime and the Memory of Loss (يصدر قريباً)

وقد خصّ "قضايا النهار" بهذا النص الذي ترجمته عن الإنكليزية نسرین ناصر.

تستطيع علوم الأنثروبولوجيا أن تساهم إلى حد كبير في فهم الاضطرابات الحالية في الشرق الأوسط. تنضمّ الدعوة القوية والواضحة للثورة في العالم العربي إلى السجل الأسطوري لمعضلة أوديب التي تقع في قلب المشاهد الثقافية للقرن الحادي والعشرين. تذكر تظاهرات الجماهير "التي لا قيادة لها" والمطالبة بوضع حدّ لسنوات الديكتاتورية بالصيغة التي روى بها فرويد هذه القصة الأسطورية عن أصل السلطة والتي نُشرت عام 1913: يسوّي الأب الحاكم تنافسه مع "جماعة الإخوة" التي تشمل ابنائه، عبر إخراجهم من المنظومة الاجتماعية من أجل احتكار السلطة والاحتكار الجنسي للنساء في المجموعة. وبعد أن يتمردّ الأبناء ويقتلوا الوالد، يُقسمون الولاء لطوطم يمثله وكذلك لمبدأ التخلّي عن رغباتهم في الحلول مكانه بصفته حاكماً مستبدّاً. من المغرب إلى اليمن يحدث تحوّل يندرج في سياق الدراما الأنثروبولوجية نفسها. وهو يُعبّر عن محورية اصطلاحات القرابة والجيل والجنس المحددة ثقافياً في تحويل الديكتاتوريات المحلية أشكالاً سياسية أكثر ديمقراطية وتعزيزاً للمشاركة في العالم العربي الحالي.

كان الرئيس التونسي، زين العابدين بن علي، أول الراحلين بعد 23 عاماً من القمع السياسي والاستغلال الاقتصادي. فقد فرّ برفقة عائلته إلى السعودية وبحوزته ثروة شخصية تُقدّر بحوالي 3,5 مليارات جنيه استرليني. طوال سنوات عدّة، انصبّ الغضب الشعبي في شكل أساسي على زوجته ليلي، فقد سمحت صلة الزواج التي جمعها بين علي لعدد كبير من أفراد عائلة طرابلس التي تنتمي إليها، بأن يستحوذوا على مناصب رفيعة في السياسة وفي مجتمع الأعمال التونسي ويستنزفوا ثروات البلاد ومقدّراتها.

في مصر واليمن وليبيا والبحرين، انكشفت الرواية فصلاً في الاصطلاح الأكثر تقليدية للذريّة الذكورية. أحد التنازلات الأولى التي قام بها حسني مبارك الذي حكم طوال 32 عاماً في مصر، وعلي عبدالله صالح الذي حكم طوال 30 عاماً في اليمن، كان التخلّي عن حق كل من نجليهما، جمال وأحمد على التوالي، في خلافتها. لقد جرى إعداد الابنين بعناية للحلول مكان والديهما الطاعنين في السن، ولذلك انطوت التصريحات العلنية على عنصر دراماتيكي إلى حد بعيد. وفي ليبيا، لا يزال معمر القذافي الذي يحكم منذ 42 عاماً، وحتى كتابة هذه السطور، يحاول تمرير كل السلطات لأبنائه، مع اختيار سيف الإسلام القذافي وريثاً سياسياً له. وفي البحرين والمليكيات العربية الأخرى، يستمرّ القادة في التمسك بنموذج الأب والابن الذي لا يزال محورياً في نظرهم إلى سلطة الملوك المطلقة.

إن التخلّي العلني عن سعي الابن لوراثة السلطة من والده يضع حداً نهائياً للنموذج العربي القائم على التوريث من الأب إلى الابن الذي أدرج في ديكتاتوريات الدولة ضمن نطاق السلطات القبلية. من الآن فصاعداً لن يكون هناك نموذج بسيط للتحوّل نحو السلطة الديمقراطية القائمة على المشاركة. سوف تكون دروب التحوّل متقلبة ومتفاوتة، فيما تظهر اصطفايات نفوذ جديدة بين الجيوش والنخب والطبقات الوسطى والفقراء والسلطات القبلية والدينية المحلية وكذلك القوى الخارجية.

بيد أن هناك العديد من النزعات الواضحة: أولاً، لن تخضع مسألة التعاقب على السلطة والوصول إليها بعد الآن لاعتبارات الذريّة الذكورية أو الأجيال. فهذه الثورات ليست فقط من صنع حشود من الإخوة وإنما حشود من الإخوة والأخوات، بدعم من أهلهم. ليست الثورات موجهة، في شكل عام، ضد الأب الذي فقد سلطته أصلاً، أو ضد أنظمة يتمّ ربطها بوالد ما. بل إنها ضد إذلالين: الأول الاستسلام الكامل لإذلال الفلسطينيين على أيدي إسرائيل والتواطؤ معه. ولدت هذه المهانة اليومية والمتلفزة التي يتعرّض لها إخوة عرب مختلة عربية جامعة، بما في ذلك ازدياد سياسات القادة العرب الحاليين وأساليبهم السياسية. والثاني هو إذلال الآباء في منازلهم وأماكن عملهم على أيدي أنظمتهم. لقد جعلت المخابرات والأجهزة الأمنية إلى جانب البيروقراطية أدوات الدولة موجهة ضد الفقراء والطبقات الوسطى، فمنعت الآباء من تأمين مستقبل مناسب لهم ولأولادهم الذين يزدادون علماً واطلاعاً. وأدّى الفساد الاقتصادي والاجتماعي والممارسة التعسفية لسلطة الشرطة وعدم المساواة الشديدة في الفرص، إلى تفاقم الانقسامات الاجتماعية وتزايد أشكالها وأنواعها، فيما منعت الحكومات قيام أي آلية مفتوحة لتكوّن المجموعات بما يتيح التعبير عن اهتمامات الناس.

هؤلاء الآباء المخصيون ينتفضون الآن مع أبنائهم وبناتهم الذين يحول صغر سنّهم على الأرجح دون أن يستبطنوا درجة الخوف التي فرضتها الدولة المستبدّة وأجهزتها على أهاليهم. بيد أن ما يتشاطرونه مع أهلهم هو شعور بالحق المهانة بالتقليد وكل الإنجازات المدهشة لـ "مهود الحضارة" العظيمة الواقعة في العالم السامي. يكرهون هوامات "الأصولية الإسلامية" و"الإرهاب" التي يثيرها الغرب وتستعملها أنظمتهم لكبح مستقبلهم.

ثانياً، وكما يتضح من الصور المتلفزة، يشارك النساء والرجال في التظاهرات، وهو واقع نأمل في أن يدفع الغرب على الأقل إلى التشكيك في افتراضاته بأن النساء العربيات يحتجن إلى الحماية من رجالهن. بيد أن الاستيلاء والرهانات ليست هي نفسها في حالتي الرجال والنساء. فعلى النقيض من أوروبا وأميركا الشمالية، لا تزال شبكات القرابة الأوسع تنظم الجزء الأكبر من الهيكلية الاجتماعية للمنطقة. إزاء عجز الآباء عن توظيف أبنائهم، وفشل هذين النظامين السياسيين في خلق فرص عمل مجدية، بات عدد كبير من الشبان غير قادرين على الزواج، ولذلك اضطروا إلى تأجيل اكتسابهم ذلك النوع من الرشد - مثلاً الوضع العائلي، حياة جنسية معترف بها اجتماعياً، أبوة - الذي يصوّر التنظيم الاجتماعي العربي بطريقة مثالية للفرد. الأنماط البديلة للولوج إلى المكانة الاجتماعية والجنس والأبوة ليست متوافرة على نطاق واسع، ولا تزال الحياة الكريمة من دون زواج تُعتبر تهديداً للنظام الاجتماعي في الجزء الأكبر من الشرق الأوسط. ينقل الصحافيون الغربيون باستمرار شكاوى الشبان بشأن هذا التأخير.

وبالنسبة إلى النساء، يمكن أن يعني تأخر سنّ الزواج أيضاً تأجيل دخول مرحلة الرشد. لكن بما أن النساء اللواتي أصبحن أكثر ولوجاً إلى التعليم يملن أيضاً إلى التفكير في مسارات حياة بديلة، فهنّ لا يعتبرن دائماً أن هذا التأخر في الزواج (الذي غالباً ما يعني الخضوع لوالدة زوج ما) هو أمر سلبي. لكن على غرار أقرانهنّ الذكور، يفتقرن أيضاً إلى الفرص الاقتصادية والسياسية لإقامة أشكال أخرى من الروابط.

تبدو هذه الثورات شبيهة بـ"لحظة برلين"، تماماً مثل فتح الجدار الذي أطلق سلسلة من التظاهرات التي حرّزت الشعوب في أوروبا الوسطى والشرقية وروسيا من الأنظمة السلطوية. عندما فتح الجدار، كنت قد أنهيت للتو دراسة عن تأثيرات الانقسام السياسي في برلين الشرقية والغربية، وقد تابعت منذ ذلك الوقت عن كثب التحوّلات في أوروبا الوسطى والشرقية. هناك بالفعل أوجه تشابه بين الحدثين، لكن أوجه التشابه الأعمق تقتصر فقط على المستوى الجيوسياسي.

أمكن حدوث تحوّل في أوروبا فقط لأن فاعلين خارجيين - الولايات المتحدة وأوروبا الغربية وروسيا - دعموا إلغاء الديكتاتوريات وتأكيد مبدأ تقرير